في مقابلة خاصة لصحيفة «يديعوت احرونوت»

مبارك يسعى الى عقد تحالف بين حماس وفتح ودفع الحركة الاسلامية للاعتراف باسرائيل حتى تتمكن من قيادة الحكومة القادمة

■ «لقد تعلمت من تجربتي الطويلة معكم أيها الاسرائيليون أنكم تفضلون الاستغراب دائما. وتجدون الاسباب للقلق الدائم»، يقول الرئيس مبارك في مقابلة خاصة لصحيفة «يديعوت احرونوت». «ربما كان هناك مكان لديكم لبعض الخوف من حماس بسبب الأحداث التي جرت في الماضي، ولكنني لا أرى سببا للقلق. حماس تريد العيش بسلام في نهاية المطاف، وأنا متأكد من عدم وجود خطة لديهم لاقامة حكومة ارهاب، ونحن عازمون ايضا التركيز على هذه القضية».

مع انتصار حماس الذي حظي هنا بالاسم الرمزي «التسونامي الاخضر»، تعود القاهرة الى مركز الساحة السياسية الاقليمية وبقوة كبيرة. مجموعة نشيطة من المستشارين الكبار تعمل من حول ضيوف قصر الاتحادية. ديوان مبارك الواسع في القصر استضاف في هذا الاسبوع عددا من قادة الدول في المنطقة، وكان أكثر نشاطا مما يكون عليه في الايام العادية.

أمس الاول صباحا بدأ مبارك يوم عمله بمحادثة صريحة مع رئيس السلطة الفلسطينية أبو مازن. مبارك يُكن الود لأبو مازن، خلافا لموقفه من الرئيس السابق ياسر عرفات، ولديه انتقاد قوي ضد اسرائيل التي لم تحرص على إثابة أبو مازن وتحسين مكانته في الشارع الفلسطيني.

في القصر انتشرت شائعات بأن أبو مازن قد جاء الى القاهرة حتى يقول لمبارك إنه اذا تواصل الوضع الحالي في المناطق فانه ينوي رفع يديه والاعلان عن استقالته.

في اللحظة التي غادرت فيها قافلة سيارات الرئيس الفلسطيني القصر خرج وزير الخارجية المصري، أحمد أبو الغيط، الى وسائل الاعلام ونفى شائعات استقالة أبو مازن مؤكدا أنه سيواصل مهام منصبه حتى نهاية ولايته في عام 2009 . «ابو مازن هو القائد المنتخب للشعب الفلسطيني» يقول مبارك لـ «يديعوت احرونوت». «هو قائد جدير فلماذا يستقيل؟ جميعنا، مصر واسرائيل والامريكيين والاسرة الاوروبية، ملزمون الان بمساعدته لادارة حكومة معتدلة».

بواسطة المقابلة يسعى الرئيس المصري الى ارسال رسالة لاسرائيل حتى تقوم بالمستحيل وأن تتحلى بالصبر. «دعونا نعمل وأتيحوا لنا المجال للتحقق وسماع ما تريده حماس غزة وما يقوله خالد مشعل وما يقوله الاخرون الذين سيأتون الى مصر في الايام القريبة. لا تتسرعوا ولا تلقوا بأنفسكم فوق عربة لم تبدأ بالتحرك بعد. الحكومة الفلسطينية الجديدة لن تقوم اصلا قبل تشكيلكم لحكومتكم الجديدة بعد شهرين أو ثلاثة».

نتائج الانتخابات في اسرائيل كما يوضح مستشارو مبارك ستلقي بظلالها على تركيبة المجلس الوزاري الفلسطيني وعلى الشخصيات التي ستتولى الحقائب الوزارية في المناطق. مصر على ما يبدو لا تنوي التنازل لشخصيات بارزة في فتح والتي يفترض رغم موقفها الرافض أن تشغل المناصب المركزية في الحقائب الهامة في السلطة وادارة الاتصالات مع اسرائيل. حسب احد السيناريوهات حماس تتولى حقائب الرفاه والزراعة والثقافة والاديان أما فتح فوزارة الخارجية والامن والداخلية والمالية المسؤولة عن العلاقة مع اسرائيل.

هذا ليس بالامر السهل. خالد مشعل يطالب من مقر اقامته في دمشق بانشاء «جيش فلسطين». من المتوقع أن يصبح الجدل ساخنا عندما يضطر الفلسطينيون الى اتخاذ قرار حول من سيتولى حقيبتي الامن الداخلي والاجهزة الامنية. «نحن موجودون الان بعد اسبوع فقط من الانتخابات الفلسطينية في كل الاحوال. ومن الواجب سماع فتح والاصغاء لحماس والربط بينهما وأنا آمل أن نتوصل الى حل يقود نحو الائتلاف حتى يعرف كل واحد من الاطراف ما هي المهمة الملقاة على عاتقه» يقول مبارك مكررا ومنوها للحاجة للتحلي بالصبر.

ولكن كيف يمكن لاسرائيل أن تتفاوض مع حماس في الوقت الذي ترفض فيه الاعتراف بوجودها؟

■ لن يأتي اليكم أي أحد مطالبا اياكم بالشروع في المفاوضات. ان كانت حماس تريد تشكيل حكومة فعليها أن تعترف باسرائيل. أنا لا اريد أن اقول ما الذي يتوجب على خالد مشعل أن يصرح به وماذا يتوجب على حماس ان تفعل حتى تحصل على ما تريده. ولكن المسألة لن تمر بدون الاعتراف باسرائيل.

«ملف عصفورة»

بعد ابو مازن دخلت لديوان مبارك وزيرة الخارجية تسيبي لفني. المحادثة التي جرت بينهما على انفراد امتدت لساعتين. وفي الحاشية الاسرائيلية قالوا إنهم يجدون صعوبة في تذكر حدث انغلق فيه مبارك لمثل هذه المدة الطويلة مع ضيف اسرائيلي. الجانبان أعدا وظائفهما البيتية: لفني التي كانت هذه رحلتها الاولى للخارج بقبعتها الجديدة كوزيرة للخارجية حملت معها أكواما من الاوراق وطاقما مثيرا من المساعدين والمستشارين (الذين طلب منهم الانتظار في الرواق الخارجي). من الناحية الاخرى أعد مستشارو مبارك «ملف عصفورة» (اسمها بالعبرية يعني عصفورة بالعربية ـ تسيبورة) حيث يحتوي على سيرة وزيرة الخارجية الذاتية بما فيها اقتباسات من وسائل الاعلام من الفترة التي كانت فيها في الموساد.

في ذلك اللقاء تداول الاثنان في التغيرات السياسية الحاصلة في المنطقة إثر انتصار حماس في الانتخابات. «قمنا بجولة كلامية على طول دول المنطقة»، قالت لفني بعد ذلك وأردفت «ركزنا طبعا على قضية حماس، ومبارك طرح الكثير من الاسئلة. كان مثيرا ومدهشا. ذُهلت من مدى اطلاعه على السياسة الاسرائيلية والفلسطينية». خلال المداولة تحدث مبارك عن الحاجة الى تحرير اموال السلطة المحجوزة لدى اسرائيل (50 مليون دولار) حتى يتمكن من دفع رواتب 130 ألفا من قوات الأمن وموظفي السلطة. مبارك ينصح اسرائيل بالتصرف تجاه أبو مازن «كالمعتاد»، ليس مقاطعته أو معاقبة الفلسطينيين بسبب التصويت الاحتجاجي الذي كان مفاجئا ايضا للاستخبارات المصرية (الجنرال عمر سليمان اعترف: «نحن لم نعرف فعلا واعتقدنا أن حماس ستحصل على 40 في المئة»). مبارك ينصح لفني بأن تحرص اسرائيل في الفترة الانتقالية على تسليم عوائد الضرائب الى أيدي «نظيفة» في السلطة الفلسطينية. «كل محاولة لترسيخ مكانة أبو مازن قد تغير صورة الوضع الآن». وزير المالية المستقيل، سلام فياض، كما قال وزير الخارجية المصري أبو الغيط، هو بالتأكيد عنوان ملائم لذلك. حسب سيناريوهات كثيرة في اسرائيل ربما يكون سلام فياض في نهاية المطاف رئيس الوزراء القادم.

حماس تخشى من مؤامرة

الأذن المصرية تصغي بصورة خاصة للاصوات القادمة من البيت الابيض والقدس، وإن كانت الى جانب ذلك توجه قدرا غير قليل من الانتقادات. «لولا الضغوط الامريكية الشديدة لاجراء الانتخابات في المناطق»، قال أحد مستشاري مبارك، «لما كنا الآن في خضم البحث في كيفية التعامل مع حماس. أبو مازن توسل لتأجيل الانتخابات، ولكن الامريكيين لم يتنازلوا باسم الديمقراطية».

ادارة عملية الحوار بين فتح وحماس تتوزع بين الرؤوس الثلاثة للسياسة الخارجية المصرية: مبارك (أكبر قادة المنطقة سنا وتجربة وصاحب حس سياسي مرهف)، ووزير استخباراته الجنرال عمر سليمان («مطفىء الأزمات») ووزير الخارجية أبو الغيط.

سليمان كسر حاجز صمته أمس الاول وخرج لوسائل الاعلام وطرح بنود الـ «نعم» الثلاثة التي تُدخل حماس الى الحكومة: نعم للاعتراف باسرائيل، نعم للوقف التام للعمليات الارهابية ونعم لاحترام كل الاتفاقات الموقعة بين الفلسطينيين واسرائيل. «اذا أصرت حماس على قول كلمة لا»، حذر وزير الاستخبارات، «فلن يعترف بها أي أحد في العالم». أبو الغيط في مقابلة مع صحيفة مصرية سارع الى الفصل بين انتصار حماس في المناطق وبين نجاح حركة الاخوان المسلمين في مصر بإدخال 88 ممثلا «مستقلا» الى البرلمان. «الحركة الاسلامية في فلسطين ترتدي طابعا مغايرا تماما للحركات الاسلامية القائمة في الدول السيادية»، ادعى وزير الخارجية.

قيادة حماس في دمشق لم تمر مرور الكرام على الشروط الثلاثة التي وضعتها مصر أمام الحركة. «ليس هناك انسان عاقل في العالم العربي مستعد للتطوع لفرض شروط مسبقة على أبناء شعبه الذين يعيشون تحت الاحتلال»، قال رئيس المكتب السياسي في حماس، الدكتور موسى أبو مرزوق، موجها سهما لاذعا لأبو مازن الذي يختبىء حسب ادعائه من خلف مصر. أبو مرزوق اختار التحدث باسم خالد مشعل الذي دُعي على عجل لمقابلة مبارك في قصره. اذا فتح مشعل فمه، هذا ما تخشاه حماس، فسيتعرض للمقاطعة، ليس فقط في الاردن، وانما في مصر ايضا. سياسة «لننتظر ونر» التي ينتهجها مبارك والسرعة التي سحب فيها أبو مازن في هذا الاسبوع بيان الاستقالة، تثير لدى حماس مخاوف شديدة بوجود مؤامرة تُنسج من خلف ظهرها. حماس تشك في أن «مُعدي المكيدة» سيحاولون عرقلة تشكيل الحكومة الفلسطينية قدر المستطاع لدفع حماس الى ارتكاب كل الأخطاء الممكنة وتبديد رصيد نتائج الانتخابات للوصول في نهاية المطاف الى حكومة تُمسك فتح فيها بالمواقع المركزية الحقيقية.

«إثر الانتصار في الانتخابات» نوه أبو مرزوق، «حصلنا على حق كامل لاقامة حكومة جديدة. ولذلك عليهم أن لا يحاولوا إملاء من الذي نختاره وأي سياسة سنتبع، علينا».

«أسفت على شارون»

مبارك يحرص على إبداء الصبر تجاه حماس. «ليس لدي أساس للاعتقاد بأن حكومة حماس ستقوم وفق رؤية حكومة ارهابية. كما أنه ليس لدي دليل قاطع على أن الاموال أو السلاح تتدفق الى المناطق من اجل العمليات»، قال مبارك. مبارك قد يجد نفسه متفاجئا. في منتصف الاسبوع القادم عندما سيأتي وزير الدفاع شاؤول موفاز للالتقاء به وبعمر سليمان، ستوضع على طاولة الرئيس المصري معلومات استخبارية حديثة حول عمليات تهريب السلاح الى المناطق.

■ كيف تلقيت نبأ إدخال شارون الى المستشفى؟

■ لقد أسفت جدا، أولا على المستوى الشخصي، وكنت مذهولا. فور دخول شارون الى المستشفى اتصلت للسؤال عن صحته. لقد أصبح معروفا أننا نجحنا في اقامة علاقات بيننا وعلاقة من الثقة المتبادلة. عندما كان شارون يعطيني كلمته ويعد ـ كان ينفذ.

■ وماذا عن أيهود اولمرت، هل تعرفه؟

■ لم أتمكن من العمل معه بعد. التقيت به مرة واحدة هنا وكان لدي شعور أنه على ما يرام. هادىء. انسان طيب جدا. أنا أُعلق عليه الأمل بأن يعرف كيف يدفع السلام الى الأمام. وانني آمل فقط أن يكون لديه الصبر.

■ هل لديك نصيحة كزعيم مخضرم توجهها لرئيس حكومة فعلي؟

■ أنا لا أنوي التدخل في سياستكم، ولكنني كنت أود أن أرى زعيما متزنا يطلق تصريحات معتدلة. أنا أعرف أنكم موجودون الآن في فترة الانتخابات، وأن التصريحات لديكم ساخنة (يضحك)، ولكنني أدرك في نهاية المطاف أنها تصريحات انتخابية من اجل اجتذاب الناخبين، وسرعان ما تنتهي.

■ اذا أصبح الوضع في المناطق ساخنا إثر انتصار حماس فقد يحدث عندنا ايضا انقلاب ويقوم نتنياهو بتشكيل الحكومة القادمة؟

■ نتنياهو، باراك، أي واحد ـ هذه مسألة تخصكم. لن نتدخل. ولكنني آمل أن يكون كل من يُمسك بزمام الامور عندكم متطلعا للسلام الحقيقي، ومرنا ومستعدا للعمل مع الطرف الآخر.

سمدار بيري ـ القاهرة
مراسلة الشؤون العربية
(يديعوت أحرونوت) 2006/2/3

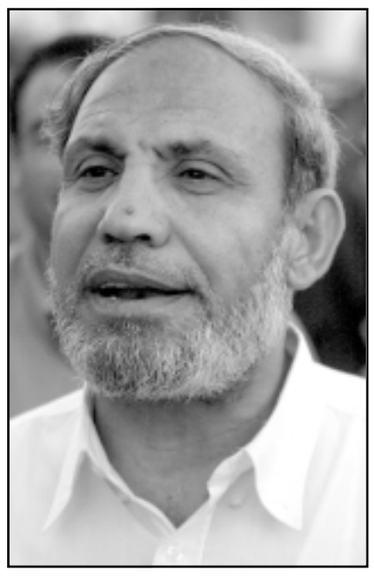
محمود الزهار

ابو مازن

حسني مبارك

ما زال أمامنا المزيد من عمليات الاخلاء قبل الانتخابات

اولمرت تصرف بطريقة صحيحة واظهر حزمه كرئيس وزراء في قضية اخلاء مستوطنة عمونة

■ كل ذلك حدث بسبب انسان لحوح واحد اسمه درور آتكس. آتكس هذا ولد في القدس قبل 37 سنة، لعائلة دينية قومية، إلا أنها ليست يمينية. هو رئيس «طاقم مراقبة المستوطنات في حركة السلام الآن». آتكس هو الشخص الذي دفع بالحجر الذي تدحرج من رأس هضبة عمونة وتحول في يوم الاربعاء من هذا الاسبوع الى كرة كراهية كبيرة سقطت علينا جميعا.

أتكس كان يتجول في المنطقة لساعات لا تُحصى على متن طائرة خفيفة ويقطع البلاد طولا وعرضا فوق يهودا والسامرة. يقتفي أثر الكرفانات المخبأة، واعمال البنى التحتية الخفية، يُصور ويرسم الخرائط ويُعد التقارير.

آتكس كان الشخص الذي توجه بالتماس لمحكمة العدل العليا ضد عمونة، وحرك سلسلة ردود الفعل التي انتهت في هذا الاسبوع بصوت صاخب كبير. هدم مباني عمونة التسعة في هذا الاسبوع هو انتصار شخصي كبير لآتكس وللسلام الآن الذين برهنوا أن الصبر احيانا والعناد يكون مجديا وإن كان يحدث بقدر قليل.

آتكس يتجول وحده في المنطقة، احيانا من الجو وفي مرة اخرى مشيا على الارض. في بعض الاحيان يتلقى الضربات وفي العادة يقوم بالرد على من ضربه. طاقم مراقبة المستوطنات التابع للسلام الآن يتكون منه بالأساس ومن عدد من المتطوعين. في هذا الاسبوع برهنوا أنه بالرغم من دخول ياريف اوفنهايمر، سكرتير الحركة، الى المرتبة 55 فقط في قائمة حزب العمل للكنيست، إلا أن السلام الآن حية تُرزق، قائمة ومؤثرة. وبمناسبة ذكر اوفنهايمر، فهو الشخص الذي يكافح أكثر من جميع المرشحين الآخرين من اجل حقوق الفلسطينيين في المناطق، إلا أنه حصل على أقل قدر من الاصوات في اوساط ناخبي الوسط العربي في حزب العمل، الأمر الذي يبرهن مرة اخرى على جودة وماهية الديمقراطية في هذا الحزب، ويُذكر بالاغلبية الدرزية الهائلة (100 في المئة تقريبا) التي أرسلت في حينه صوفا لندبر للكنيست على حساب أديسو مسالا الاثيوبي.

آتكس لاحظ وجود عمونة في 2004 «قاموا بجرف قمة الجبل قبل ذلك بعامين، وكانت جاهزة للبناء منتظرة اللحظة المناسبة»، يقول آتكس. هو على قناعة أن صفقة قد أُبرمت جيدا في قضية عمونة بين المستوطنين بواسطة «أمانة» برئاسة زئيف حبار، وبين وزارة الدفاع.

وكيف يعرف؟ ببساطة كبيرة. «المباني الدائمة في عمونة شُيدت في نيسان (ابريل) 2004، تماما خلال الاسبوع الذي أخلت فيه اسرائيل البؤرة الاستيطانية في غينوت آريه». وهذه هي المسألة. المستوطنون قاموا باخلاء غينوت آريه بأنفسهم، وكانت المستوطنة الأكبر التي أُخليت ومر الأمر بهدوء وبتعاون ومن دون مشاكل. «هذا ليس صدفة أن تُقام عمونة في نفس الاسبوع. كان واضحا أن هناك اتفاقا بالغمزات بين الجهات المختلفة في وزارة الدفاع والمستوطنين. هم انتقلوا ببساطة من نقطة جنوبية الى نقطة جديدة شمالي عوفرا، وهي عمونة».

تحايل اسرائيلي كلاسيكي. يُبددون الوقت من خلال الاتفاقات المبطنة والخفية، «عمونة أُقيمت على مسافة كيلومتر من شارع رقم 60، وكل ضابط في الادارة المدنية يستطيع أن يرى منازلها وهو مار في الشارع، وكل الجيش عرف ورأى إلا أن أحدا لم يُحرك ساكنا. اتفاق صامت كالعادة».

إلا أن الأزمنة قد تغيرت. في نيسان (ابريل) 2004 كان اريل شارون رئيسا للوزراء وشاؤول موفاز وزيرا للدفاع، إلا أن تقرير تاليا ساسون حول البؤر الاستيطانية لم يكن قد صدر بعد، وكانت ثقافة الغمزات والاتفاقات الخفية مهيمنة وسائدة على الارض. فك الارتباط في الخلفية وكل ما يريده الجيش كان بعض الهدوء في الضفة الغربية. رون شخنر، مستشار وزير الدفاع للاستيطان (في الآونة الأخيرة دُفع للتخلي عن منصبه أخيرا)، هو الذي يفاوض مع الزمبيشيين (أتباع زئيف حبار ـ زمبيش)، يقوم بوضع كرفان هنا وآخر هناك، ليس واضحا بأي صلاحية أو تفويض، ولكن الجميع يعرفون ويصمتون، بما في ذلك المستوى السياسي الأعلى. بهذه الطريقة أُقيمت عمونة بموافقة صامتة من كل الأطراف ذات العلاقة، من دون وثيقة مكتوبة أو أدلة مُدينة. عمونة أُقيمت بالخطأ النمطي، وسقطت في هذا الاسبوع بصخب كبير.

المؤامرة التي لم تكن

إلا أن الوقت قد تغير في هذه الاثناء. تقرير ساسون نشر وشخنر غادر الى بيته فأدار موفاز ظهره للمستوطنين، بينما يغرق شارون في غيبوبته. الخبيثون غيّروا قواعد اللعبة ونسوا إعلام زميش بالتغيرات ليجد نفسه فجأة غارقا في الظلام. درور آتكس، كما أسلفنا، هو الشخص الذي دفع سلسلة الأحداث المتلاحقة. منذ أن اكتشف المباني الدائمة في عمونة لم يكل ولم يمل. هنا في عمونة تجاوزوا ذروة الوقاحة. ارض فلسطينية خاصة ومن دون مخطط هيكلي أو رخصة بناء. بؤرة استيطانية منفلتة تماما.

آتكس توجه الى محكمة العدل العليا التي أمرت الدولة بالاخلاء، فتعهدت الأخيرة بالتنفيذ حتى بداية شهر كانون الثاني (يناير) 2006 حينئذ قبل فك الارتباط بدا هذا التاريخ وكأنه المليونيوم القادم. ولكن من طبيعة هذه التواريخ أن تأتي في نهاية المطاف. كانون الثاني (يناير) جاء مع عاصفة هوجاء.

ماذا الآن؟ الآن يسيرون نحو البؤرتين القادمتين. حرشة بجوار تلمون في قلب الضفة، حيث توجد ستة مباني دائمة مأهولة بالسكان، وبؤرة هيوفال بجانب مستوطنة عيله، حيث يوجد 12 مبنى مأهولا. السلام الآن برئاسة ياريف اوفنهايمر صاحب العزيمة، توجهت لمحكمة العدل العليا في الثاني والعشرين من ايلول (سبتمبر) 2005 مطالبة باصدار أمر اخلاء وهدم هذه البؤر الاستيطانية. الدولة ردت على الالتماس بعد شهرين بالضبط من خلال أوراق عمل مدروسة وجملة من التبريرات.

بكلمات اخرى: الانتخابات القادمة توجه الدولة بواسطة المحامي يوفال رويتمان، نائب المدعي العام للدولة، للطلب من محكمة العدل العليا رفع يدها عن هذه البؤر الاستيطانية بسبب الظروف السائدة، إلا أن محكمة العدل العليا لم تقبل بهذا الموقف تماما وأصدرت أمرا مشروطا تطالب فيه الدولة بأن تُقدم تفسيرا خلال ثلاثة اشهر لعدم اتخاذ كافة الوسائل لتنفيذ أوامر الهدم الصادرة بحق المباني غير القانونية في حرشة وهيوفال. عما قريب ستنتهي الثلاثة اشهر المذكورة، الأمر الذي يعني أن أمامنا بؤرا استيطانية مُعدة للاخلاء قبل الانتخابات.

رد الدولة لمحكمة العدل العليا، خاصة البند الرابع عشر منه يدحض نظرية المؤامرة التي تدعي أن اولمرت قد تطلع للتصادم في عمونة في هذا الاسبوع من اجل الانتخابات. ففي ذلك البند تؤكد الدولة انها تفضل تأجيل كل الخطوات الى ما بعد الانتخابات، وهذا يبدو منطقيا. فلماذا يقوم اولمرت بإفساد اسبوع غير سيء بالنسبة له، حيث عرض قائمة كديما بصورة بهيجة للكنيست مع حملة اعلامية ناجحة في اوروبا في مواجهة حماس وزيارة ناجحة لتسيبي لفني الى القاهرة. لماذا يحتاج في ظل هذا المشهد الى منظر الجياد والهراوات في مواجهة فتيان الجبال؟ ليس واضحا.

الأمر الأكيد هو أن اولمرت قد تورط في طريق مسدود اشكالي في هذا الاسبوع. أي قرار كان سيتخذه لا يخلو من الاشكال. فلو أجل الاخلاء مرة اخرى لكان كمن يستخف بالتزام الدولة لمحكمة العدل العليا، ويتراجع القهقرى أمام المستوطنين، ويتلقى نار الاعلام بسبب عجزه في اتخاذ القرارات وزعامته الواهنة. أتباعه، وخاصة المسؤولين عن الدعاية والحملة، حثوه على الظهور بصورة حازمة وأن يُبدي القيادة المطلوبة.

اولمرت أدار المسألة بصورة موضوعية، وأصدر تعليماته لكل الوحدات التي يمكنه أن يعطيها الأوامر. المشكلة كانت في طريقة التنفيذ. القوات المكلفة تحمست بصورة مفرطة للمعركة. والجياد اندفعت نحو الجمهور المحتشد بصورة مبكرة. أما في الجانب الآخر فكان الوضع اسوأ. شبان الجبال نفسوا كل احباطهم من كفار ميمون وسدروت وغوش قطيف المدمرة في تلك المواجهة. هم كسبوا العنف الذي تلقوه باستقامة. الجميع انفجر بالجميع من دون امكانية للتهدئة لانه لم تكن هناك عملية تهدئة على الارض. القتل بدا في عيون الجميع، وايفي ايتام الذي يلعب في العادة دور الشخصية المعتدلة، اضطر الى الاكتفاء بالاحباط وارتداء قناع البطولة.

في يوم الاثنين، في الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر، جاء بنحاس فالرشتاين وبنتسي ليبرمان وزئيف حبار الى ديوان اولمرت في وزارة الصناعة والتجارة والتشغيل في القدس. في ذلك اليوم التقوا ايضا مع نتنياهو للتشاور وتنسيق المواقف. نتنياهو الذي يتخذ موقفا رسميا يعتقد أن من الممكن منع عملية التنكيل في عمونة. أجل يجب إزالة البؤر الاستيطانية، ولكن هناك اسلوباً وتوقيتاً وبديلاً. إلا أنه لم يكن المقرر في هذه المرة. الزمبيشيون أحضروا لاولمرت الخرائط والسجلات. إلا أنهم قبل ذلك ألقوا عليه محاضرتهم المعتادة التاريخية والتنظيرية حول مصدر البؤر الاستيطانية وحقيقة أنها أُقيمت بتعاون كل حكومات اسرائيل وبعلم الأطراف ذات العلاقة.

هم تحدثوا عن تسوية كبيرة وإزالة نصف البؤر الاستيطانية غير المأهولة مقابل إضفاء الشرعية على النصف الآخر الاستراتيجي المأهول بالسكان. اولمرت أصغى لهم، إلا أنه طالبهم بالتحدث عن عمونة. الثلاثة جلسوا مع اولمرت ساعة طويلة وقدموا له الاحترام وتحدثوا بانضباط وصبر مدركين أنهم أمام رئيس الوزراء القادم على ما يبدو. «أنا لا أستطيع عقد أي تسوية الآن، ليست هناك جدوى أو وقت لذلك»، قال لهم، «أنا أقترح عليكم أن تُزيلوا عمونة بصورة منظمة». الثلاثة طلبوا مهلة لثلاثة اشهر، فرد عليهم بالنفي قائلا ان الأمر قد أُجل لفترة طويلة، وان المسألة الآن أصبحت بيد محكمة العدل العليا. اولمرت كان يعرف ما يقول لأنه تشاور قبل ذلك مع ميني مزوز حول القضية. «أنا أريد أن يُنفذ التعهد لمحكمة العدل العليا في موعده من دون غمز أو تحايل». مقربوه قالوا في نفس اليوم إن ضبط النفس قد انتهى، وإن الغمزات قد ولّت وأن سلطة القانون ترفع رأسها في السامرة. لقد آن الأوان لذلك.

في صبيحة اليوم التالي، كما أسلفنا، جاء الزمبيشيون لاولمرت وعادوا مثلما جاؤوا.

جدعون عزرا في موقف الأقلية

في يوم الثلاثاء مساء بدأ التدفق. مئات الشبان وصلوا الى الموقع مشيا على الأقدام عبر القرى العربية والدروب الجانبية والساحات الداخلية. في المقابل بدأت قوات الأمن بالتدفق بحذر نحو نفس الموقع. الجميع حذروا من حدوث مجابهة مبكرة. في يوم الثلاثاء في العاشرة مساء كان اولمرت قد عقد نقاشا جماعيا مع شاؤول موفاز وجدعون عزرا ودان حلوتس وموشيه كرادي وغيرهم من الأطراف الاختصاصية الاخرى. اولمرت استعاد من تلك المداولة ثقته بنفسه وبقراره، فالجميع كانوا مُتحدين في الرأي حول عدم وجود حل آخر، أو تسوية يمكن تنفيذها أو نقل المنازل الى مكان آخر. جدعون عزرا كان في موقف الأقلية واقترح ايقاف عملية الاخلاء وتأجيلها لخشيته من أحداث عنف غير عادية واستخدام للسلاح، وربما عملية مخططة من جانب مستوطن متطرف. اولمرت أصغى له، بينما عارضه موفاز قائلا إنه لا توجد أي معلومات بهذا الصدد، ولذلك ليس هناك سبب لايقاف عملية الاخلاء. اولمرت اتصل بعد ذلك برئيس «الشاباك» الذي أكد موقف موفاز بعدم وجود معلومات حول اعمال عنف مخططة غير عادية أو استخدام للسلاح أو غير ذلك. اولمرت قرر التمسك بالخطة الأصلية لعملية الاخلاء.

في الساعة السابعة صباحا أعلم السكرتير العسكري اولمرت بتوجه المستوطنين لقاضي محكمة العدل العليا المناوب اليكيم روبنشتاين البائس، والذي أصدر أمرا احترازيا ضد عملية الاخلاء حتى المداولة في الصباح.

في حاشية اولمرت غضبوا من الأمر وقالوا إن المستوطنين قد خدعوا روبنشتاين وقالوا له إن المستوى الاختصاصي يؤيد خطتهم وإن المستوى السياسي وحده هو الذي يُفسد الأمر، فنجحوا بذلك في ابتزاز الأمر الاحترازي منه. حاشية اولمرت غضبت من روبنشتاين وقالت إن ما فعله كان وقاحة لكونه مستشارا قضائيا سابقا للحكومة وكان يعرف ماذا يعني وجود 4000 شرطي وجندي على الارض قُبيل تنفيذ المهمة بلحظات. في هذه المرحلة الحاسمة قام روبنشتاين بتجميد كل شيء ومن دون سبب واضح.

في وقت مبكر من الصباح تحادث وزير الدفاع موفاز مع رئيس هيئة الاركان حلوتس عبر الهاتف. نسقا مواقفهما وحددا رد الدولة لمحكمة العدل العليا. القرار هو تنفيذ المهمة من دون تأجيل أو حلول وسطية في اللحظة الأخيرة. التماس المستوطنين أُجل قليلا بعد التاسعة صباحا، موفاز صادق وحلوتس أمر القوات بالتحرك. من هذه اللحظة أصبح كل شيء هستيريا. التنفيذ كان حماسيا جدا، والعصي كانت شديدة جدا، والحجارة التي أُلقيت كانت ثقيلة جدا. كل شيء انفجر دفعة واحدة. لا مزيد من العناق أو قبلات أخوة السلاح. الستار تمزق من فوق وجوه الطرفين. الطرف الاول الأكبر الرسمي الواثق من نفسه والثاني الصغير البرتقالي العصبي والغاضب. درور آتكس، الشخص الذي تطرقنا اليه، هو الذي بدأ ذلك، مزق ذلك الستار من فوق وجوهنا بكلتا يديه.

بن كسبيت
المراسل السياسي للصحيفة
(معاريف) 2006/2/3

اولمرت

روح شارون خيمت على الاحداث الاخيرة

اولمرت يريد إفهام الجميع بأن اخلاء عمونة ليس إلا مقدمة في الطريق الذي سيسلكه في إقرار حدود دولة اسرائيل المستقبلية

■ على وزن اسم أحد الأفلام المعروفة بالاثارة، يمكن أن نصف الأحداث التي جرت في منتصف هذا الاسبوع باسم «24 ساعة من سُكر الاحاسيس». ففي مساء يوم الثلاثاء الماضي عرض علينا حزب كديما قائمة بأسماء خمسين من مرشحيه لانتخابات الكنيست القادمة، كانت قائمة تصلح لكل شيء، وفي الوقت الذي كانت تُقبل فيه التهاني والتبريكات بين الاعضاء واحتفال المقربين بقوة وتقدم هذا الحزب، وبينما كانت بعض الاصوات الخافتة تهمس خلسة بما تتناقله بعض الأخبار حول القدرة على الحصول على مقاعد في الكنيست القادمة أكثر مما يوجد من يشغل هذه المقاعد من النواب الأكفاء الذين سيضعهم الحزب في حال فوزه بهذه المقاعد التي تتحدث عنها استطلاعات الرأي في الاسابيع الأخيرة، والتي يمكن وصفها بـ «وُلد نجم جديد»، فما أن انتهى ذلك اليوم إلا وبدأ فجر اليوم التالي يطل علينا والذي يمكن وصفه بأنه «المواجهة العنيفة الاولى بين سلطة الدولة وبين مثيري الفوضى الذين يخرقون القانون».

فقد شاهدنا الآلاف من رجال الأمن في مواجهة الآلاف من مثيري الفوضى المتطرفين ومن بين هؤلاء اعضاء كنيست ممن قاموا «بصب الزيت على النار» الى أن تمكنت قوات الأمن من هدم تسعة مباني في بؤرة عمونة الاستيطانية بعد أن دفعت ثمن ذلك 220 من المصابين.

وليس على غرار ما حدث اثناء اخلاء مستوطنات غوش قطيف، فهم لم يُقبلوا بعضهم بعضا، ولم يتعانقوا عناق محبة ولم يبكِ أحدهم على كتف الآخر. بل شاهدنا عنفا ودماء هذه المرة.

كان هناك من وصف الأحداث التي وقعت في عمونة بأنها «نهاية التسامح» وأن «القانون هو القانون ولا بد من فرض سلطته»، بل كانت هناك تلميحات تشير بوضوح الى أن هذه ستكون مقدمة لما سيحدث في مواقع استيطانية غير قانونية اخرى سيأتي دورها للاخلاء، والتي ستتضافر جهود وقوى «قوقاز ارض اسرائيل» وفتيان التلال لمنع الدولة واجهزتها من القيام باخلائهم بعد أن يفوز حزب كديما في الانتخابات القادمة ويشكل حكومة جديدة.

تسالي يحيموفيتش أغضبت اولمرت بعد ان نُقل على لسانها انها وصفته بقولها «انه يقوم بهذه المناورات لكي يثبت لنا بأنه زعيم وقائد»، حيث عبر عن ذلك بقوله في اجتماع مغلق مع بعضهم «ماذا كانت ستقول لو لم أقم باخلاء عمونة؟».

مما لا شك فيه أننا نواجه عمليات تحريض فظيعة، لذلك فقد نُقل عن اولمرت قوله هذا الاسبوع خلال مناقشات داخلية «لقد فهمت وقدرت حدود الصراع المستقبلي». توقيت تنفيذ قرار المحكمة بخصوص اخلاء عمونة لم يكن مثاليا بالنسبة لاولمرت، فهو الاسبوع الذي فازت فيه حماس في الانتخابات التشريعية في السلطة الفلسطينية، وهو يأتي قبل نحو شهر من الانتخابات الاسرائيلية للكنيست.

لكن اولمرت يبرر ذلك بقوله الذي يراه المراقبون على أنه مقنع، فهو يقول «ان اخلاء عمونة والحزم الذي نفذت به قوات الأمن هذا الاخلاء سيكون جيدا لاسرائيل في عملية اقناع العالم الخارجي بسياسة ومواقف اسرائيل. فالمستشارة الالمانية التي كانت تزور اسرائيل، وكذلك زيارة مسؤولين اوروبيين لاسرائيل، يدعم ذلك. بل ان الرئيس المصري حسني مبارك يؤيد ضمنيا الشروط الثلاثة التي أعلن عنها اولمرت كشروط لازمة وضرورية التحقق من اجل الموافقة على التفاوض مع الفلسطينيين، وهي: تخلي حماس التام عن سلاحها، والغاء برنامجها السياسي والاعتراف بوجود دولة اسرائيل، والالتزام التام بقبول وتنفيذ كل الاتفاقات الموقعة مع السلطة الفلسطينية. ويجب أن لا نُفاجأ اذا قرر اهود اولمرت هذا الشهر دفع مبلغ 250 مليون شيكل للسلطة الفلسطينية (من اموال الضرائب) اذا تسلم ضمانات كافية بأن هذه الاموال لن تقع تحت أيدي حركة حماس.

لقد أدخل اولمرت قدميه في حذاء سلفه مؤسس حزب كديما، وأصبح الرئيس الفعلي لهذه الحرب بعد أن تسلم مقاليد المنصب الوزاري حسب القانون كقائم بأعمال رئيس الوزراء. فقد فعل ذلك مُظهرا حالة ونوعا من الشعور بالثقة الكبيرة. الانتقادات التي تنصب عليه من خصومه حول مسألة اختياره شخصيات القائمة المرشحة للانتخابات «مما هب ودب» من رفاقه وحلقة المقربين منه، لا تعجبه، بل انها تثير غضبه، ويؤكد أن 37 منهم على الأقل كان قد اتُفق على ترشيحهم من قبل الزعيم السابق شارون. حزب كديما بوصفه حزبا بلا مؤسسات حزبية ولا فروع ولا لجنة مركزية ولا لجنة حزبية موسعة، فانه يعمل بوصفه «لجنة منظمة» وهو تعبير يُحدث في نفوس الناخبين كراهية مستمدة من الماضي، مع أن الكثير من الاسرائيليين يرون فيها طريقاً للهروب القانوني من فساد التكتلات والكولسة الحزبية والاتفاقات السوداء التي يُتقن اعضاء المراكز الحزبية القيام بها، لا سيما ما يرافق الانتخابات الداخلية التي تجريها هذه المراكز.

وحقيقة ان بعض الاسماء التي جرى ترتيبها في هذه القائمة هي من الاسماء المعروفة والتي لها تاريخ حزبي وسياسي في الدولة على اختلاف مشاربها، إلا أن القائمة ايضا تشتمل على اسماء غير معروفة للجميع مع انها اسماء من تلك التي يقول عنها البعض «أين هم هؤلاء الناس الذين لم نعد نسمع عنهم شيئا منذ وقت طويل؟».

ومع